

## التشويش الفرنسي

- حميدي العبدالله**

لا شك أنَّ اللقاءات والاتصالات السياسية المكثفة التي تجري على أكثر من صعيد بمشاركة روسيا والولايات المتحدة وبعض دول المنطقة المعنية بالشأن السوري، تندرج في إطار مساعي البحث عن حلٍ سياسي يجد الواقع الجديد الذي أدخله الإسهام الروسي المباشر في الحرب على الإرهاب في سورية. وإذا كانت أهداف روسيا واضحة على هذا الصعيد لجهة بث رسائل مفادها أنَّ الوجود العسكري الروسي في سورية لا يقلق طريق الحل السياسي، واستكشاف مدى سقوط الأروهام والرهانات على الاستقرار بالدولة السورية لإسقاطها وتحويل سورية إلى ساحة للفوضى على غرار ليبيا، فإنَّ الولايات المتحدة لم تتخذ بعد قراراً نهائياً يوضح موقفها من الحل السياسي على قاعدة احترام حق السوريين في أن يقرّروا مستقبل بلدهم السياسي بعيدا عن أيِّ إملاءات خارجية.

لكن يمكن القولُ أنَّ اللقاء الذي استضافته فرنسا لبعض الدول المعنية بما يجري في سورية لا يأتي في إطار البحث عن حلٍ سياسي أو تسهيل الوصول إلى هذا الحل.

تشاط فرنسا على هذا الصعيد يشبه مواقفها من المباحثات حول الملف النووي الإيراني، حيث جارت دائما عرقلة الوصول إلى هذا الحل، من خلال مزاياداتها على الموقف الأميركي، ويشبه أيضا موقفها الذي وجه انتقادات حادة لإدارة الرئيس أوباما لأنه جاء قبل المساعي الروسية لنزع فتيل ما عُرف بأزمة الكياموي في سورية، وعدم قيام الولايات المتحدة بشنِّ عدوان عسكري مباشر لإسقاط الدولة السورية.

واضح أنَّ الحكومة الاشتراكية، وهذا الفريق من الاشتراكيين الفرنسيين الذي عُرف تاريخياً بعلاقاته الوثيقة مع الكيان الصهيوني، ومن خلال الكيان الصهيوني مع فريق المحافظين الجدد في الولايات المتحدة يستقوي بئس آبيب وبالصراعات الداخلية الأميركية للتشويش على السياسة الأميركية المعتمدة في ظل إدارة الرئيس أوباما، كما أنَّ لقاء باريس هو محاولة من الحكومة الاشتراكية للردِّ على الولايات المتحدة لاستبعادها من اللقاء الرباعي الذي عُقد في فيينا حول الأزمة السورية. لكنَّ مثلما أنَّ فرنسا عادت ورضخت للموقف الأميركي في الملف النووي الإيراني وكان وزير خارجيتها أول الزائرين ل طهران، فإنَّ فرنسا الاشتراكية مسومح لنقل اللعب في الوقت الصانع إزاء الأزمة السورية، ولكن عند التوصل إلى تفاهات أو اتفاقات، فإنَّ باريس سترسخ وتلتحق بالركب وليست لديها خيارات أخرى.

## حضور إيراني وازن

## وانسحاب سعودي تكتيكي...

- سعدالله الخليل**

يبدو أنَّ ليالي الأانس في فيينا قد تحمل إلى السوريين بعضاً من أخبار سعيدة، فالرغم من ارتفاع منسوب الرطوبة في العاصمة النمساوية إلا أنَّ حرارة الاجتماعات التي شهدها ربما ترفع من مستويات التفاؤل بانطلاق فاعل لعملية سياسية بعد انقشاع غيوم الوهم السياسي وانكشاف الرؤية في المشهد الميداني السوري والإقليمي والدولي، فبعد أخذ وردّ وطول انتظار رفعت الولايات المتحدة ظفرها المفروض على أيِّ مشاركة إيرانية في الجهود السياسية.

فبعد سنوات من تجاهل واشنطن لمئات التصريحات الأومية والدولية عن ضرورة الحضور الإيراني في أيِّ محادثات جديدة حول سورية، ما هي دبلوماسية القوة المفترقة تعترف بدور إيران الفاعل في المشهد السوري، بل وترسار إلى الإعلان عن ترحيبها بالمشاركة دون أن تعير السمع لصيحات الاستهجان من صيبان الأيراضي في الإلتفاف المعارض الذي أكل عليه دهر السياسة وشرب، وباتت تصريحاته نفخاً في قرية متقوية لا يدبّر إلا شعور بالعملة لدى هشام مررة وفاين سارة وغيرهم من جوقة ملء الفراغ الإعلامي على الشاشات السعودية لا أكثر ولا أقل، وبقدرة السياسة وقوة فنِّ الممكن تحوّل طهران من سبب رئيسي للأزمة السورية في القاموس الأميركي إلى أحد مفاتيح الحلّ.

إنّ... طهران ممثلة في لقاء فيينا بحضور اازن لوزير خارجيتها محمد جواد ظريف الذي يستحقُّ لقب شخصية عام 2015 في خارطة الدولية بلا منازع، ففضوره الوزان أضاف إلى موقف بلاده نقلاً تقاوضياً مكن الفريق الإيراني المفاوض من إتمام الاتفاق الموقّع مع مجموعة الدول الكبرى (19+5)، ولعل علم واشنطن بمكانم القوة بشخصية ظريف الذي درس في واشنطن واطلع بشكل واسع على السياسة الأميركية الدور الأكبر في تغتت الخارجية الأميركية ورفضها إشراك إيران في مساعي الحل السوري، خاصة أنَّ موازين القوى الإقليمية والدولية ليست في صالح واشنطن، ولا التطورات على الساحة السورية تحمل تبشير صمود أتباعها على الأرض السورية بعد كثافة الغارات الروسية على معالق الإرهابيين على امتداد الجغرافية، وفشل رهانها على تعب روسي في الجزء السوري، فكان ردّ وزارة الدفاع الروسية بتكثيف الغارات لاكتشاف الأزمة من مقرات الإرهاب في سورية، فما كان منها سوى القبول بوجهة النظر الروسية وتجرّع كأس حضور ظريف في فيينا بالتوازي مع تخفيض عدد غارات تحالفها على الأراضي السورية من دون أن يقدّم البتباغون أيّ تفسير منطقي للقرار باستثناء الإشارة إلى أنَّ الخطوة لا علاقة لها بكثافة الغارات الروسية ويبدو في حياتها الذي إقرار تايي الهيبة الأميركية أنَّ تعترف به.

على طاوله فيينا سيجلس بالقرب من ظريف وزير خارجه آل سعود عادل الجبير منتشياً بـ«إنجازات» بلاده على الأرض اليمينية بإعادة «الشرعية» إليها، فسارع للإعلان عن إنهاء الحرب على اليمن والدخول في العملية السياسية بعد أن حققته الغارات هدفاها بإعادة حكومة بحاح إلى اليمن وإقالة الرئيس السابق علي عبد الله صالح، متناسياً أهداف الغارات عالية السقف بدءاً من القضاء على النفوذ الإيراني إلى الإطاحة بالحوثيين، والتي لم يتحقق منها أيُّ شيء يُذكر، ولعل وجود ظريف قبالة الجبير يفوق مبررات الكأس التي تجرّعتها السعودية على الأراضي السعودية واليمينية السورية.

على طاوله فيينا تقال الأمور بمسئمتها ويظهر الرجال بأحجامهم الطبيعية وترسم الخطط وفق معطيات الأرض، فمن زرع الموت لن يقطف إلا «الانسحاب التكتيكي».

”توب نيوز“

## فيينا الأول للتمرين

– يتعدّد لقاء فيينا على مرحلتين ففي الأولى روسيا وأميركا وتركيا والسعودية، وفي اليوم التالي سيكون فيينا الحقيقي حيث ستحضر إضافة إلى دول مثل فرنسا وبريطانيا والإمارات والأردن وإيطاليا وألمانيا، دول مثل لبنان والعراق، ولكن أيضا مصر وإيران.

– اللقاء الأول تمرين للسعودية على تقبّل الفشل، حيث لن يلقى الحديث عن مستقبل الرئيس السوري أدناً صاغية بل جوابا حاسما هو أنّ السوريين وحدهم يقرّرون من يكون رئيسهم، وتعالوا نتفق كيف يمكن للسوريين أن يختاروا...
– لا طريق لمنح السوريين حقهم بالاختيار، إلاصناديق الاقتراع، والسؤال هل يمكن تحقيق ذلك في ظل سيطرة الأحزاب وبإسياسة ليقرب السوريين.
– النصر على الإرهاب يستدعي حشد الجهود والقدرات الدولية والإقليمية إلى جانب السوريين المستعدين لنقل الإرهاب.
– لا مانع من حكومة تضمّ السوريين المعارضين مع الموالين لقيادة الحرب.
– السعودية تخضع لتمرين التعايش مع الأسد في فيينا.

التعليق السياسي

## العالم يتغيّر...

هكذا كان عنوان مقّدمة كلمة

الرئيس فلاديمير بوتين ضمن أشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة، منتقدا تقصيرها في التعامل مع ملفات العالم منذ انتهاء الحرب الباردة، مقررًا شنّ هجوم دفاعي، مؤكّدا على ضرورة لجم الاندفاع الأميركية بعد اكتشاف استراتيجيتها في الشرق الأوسط وخاصةً والعالم بعامة نحو فرض قرارها باشكال التدخل في شؤون البلدان السياسية والاقتصادية والاجتماعية عبر تحطيم مؤسسات الدول وتهشيم مقدراتها وتفتيت خرائطها وتزوير نتائجها المجتمعي، خصوصا على تصعيد وتيرة الحرب على الدولة الوطنية السورية واتساع الرقعة الجغرافية لقوى الإرهاب «الداعشي» و«النصروي» المدعوم تركيا وسعوديا وفرنسيا و«إسرائيليا»، في كل من سورية والعراق، وأمام توافر أعداد هائلة من الصينيين والروس في صفوف هذه التنظيمات، علاوة على تطور الأحداث في أوكرانيا والتي تعامل الغرب في ملفها مع روسيا «بشكل مهين»، كما أشار الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في لقاءه على قناة «المنار»، مما يفتح المجال ويسعا أما تساؤل جدّي: هل باتت روسيا حقيقةً ضمن قائمة الدول التي يراد كسرها؟

انطلاقا من هذا السؤال وأمام تكاثر الحديث والصخب حول الوجود الروسي في سورية و«الاندفاع» الحربي الروسي على الأرض السورية يمكننا تقسيم مقالنا إلى عدة وحدات عبر طرح عديد الأسئلة: ما هي رهانات روسيا في سورية؟ أيّ أفق للدخول الروسي على خط المواجهة السورية؟ وما هي أهداف روسيا في العالم؟ أو بالأحرى كيف تنظر روسيا إلى السياسة الدولية؟

### روسيا بوتين وسورية الأسد

غير مستغرب أن يوجد قائدان من طراز الرئيس فلاديمير بوتين، وهو من نتاج تاريخ مجد المرحلة الصوفياتية ومن عمق المؤسسة الاستخبارية الحربية الروسية، والرئيس الدكتور بشار الأسد، من نتاج الجمهورية العربية السورية بتأريخها الحافل بمقومات الهوية عبر خطاب الحق التاريخي وابن مؤسسة وطنية عقائدية أضحت رمزا للصمود والعباء «الجيش العربي السوري»، أن يتقاسما النظرة ذاتها إلى سياسات الإدارات الأميركية المتعاقبة التي تنظر إلى «قرينتا الكونية الصغيرة» بعيون صهيونية، وتخوض حروب الداخل والخارج السياسية والعسكرية والاقتصادية وفق حسابات الكيان «الإسرائيلي» ومن منطلق مفهوم «امن إسرائيل الاستراتيجي».

قد مثل اللقاء التاريخي الذي كان قد حصل بين القائدين في الكرملين منذ عقد من الزمن استدارة تاريخية استراتيجية عبر إعلان موسكو، والذي يرسم للخط الروسي السوري ملاحج سياسية جديدة قوامها لجم الاندفاع الأميركية وطموحاتها الصهيونية الإقليمية والدولية التي استثمرت وقائع المنطقة فساعدت على تهيئة مناخ مساعد على نمو ونشر الإرهاب في مناطق عدة من العالم تحيط بـ«استراتيجيا إسرائيل» الفرا لها أن تكون «القوة الوحيدة المهيمنة على المنطقة ومقدراتها الاستراتيجية». وتجنّلي مفاعيل إعلان موسكو طوال زمن أزمة «الانتظام العمومي» في سورية منذ قرابة خمس سنوات، حيث قامت الدولة الروسية بقيادتها البوتينية بدعم الحكومة والقيادة والشعب السوري سياسيا عبر مجلس الأمن وعسكريا عبر تنفيذ القوة المعززة بصمود الدولة الوطنية في مواجهة حرب كونية ووحشية تستهدف سورية الجغرافية والدولة والموقع الجيوسياسي الرافض للسياسات الأميركية والواقف عقبه كآداء في وجه المشاريع الخوضاعية الصهيونية. بل تطوّر هذا الدعم حين حاولت الإدارة الأميركية إشعال حرب إقليمية، عبر التهديد بشنّ عدوان عسكري على سورية في شهر أكتوبر 2013، فواجهته روسيا بحجبتها السياسية والدبلوماسية في جهة وجسها العسكري عبر حادثة إسقاط الصاروخين الباليستيين الأمريكيين وتشغيل أجهزة الاستعلامات المركزية ووضعها في خدمة الدفاعات السورية ووضع سورية تحت المظلة النووية الاستراتيجية الروسية، وصولا إلى التصعيد الأخير في وتيرة المواجهة، والذي استدعي لأن تقوم روسيا بدورها الشرعي في مساعدة الدولة الوطنية السورية والحكومة العراقية في مواجهة خطر التنظيمات الإرهابية المختلفة المتعاظم أمام تزايد أعداد العناصر الإرهابية المتوافدة على الجغرافيا السورية والعراقية.

**رهان روسيا في سورية:**
**حرب استباقية أم دفاع مشترك؟**
تصاعدت وتيرة التصريحات الروسية منذ فترة سواء على مستوى الخارجية الروسية أو الدفاع أو مستوى الرئاسة حول التحذير من خطورة الوضع في الشرق الأوسط أمام تزايد أعداد الإرهابيين وتعاظم قدراتهم التسليحية من جهة، وحول عدم

## أزمة أحزاب ونواب...

## وشعب أرفقته الانتخابات

### ■ بشير العدل

لم أكن من الذين تعجّبوا أو تعاجأوا بالإقبال الضعيف على التصويت في أولى جولات المرحلة الأولى للانتخابات النيابية، والتي جرت داخل بلادي مصر الأسبوع الماضي، ولن أكون مندهشا إذا استمر الحال على هذا النحو من الإقبال الضعيف خلال جولة إعادة المرحلة الأولى وجولتي المرحلة الثانية.

وليس من باب النظرة التشاؤمية للواقع السياسي الذي تمزّ به بلادي مصر منذ أحداث كانون الثاني 2011، ولكن من واقع متابعة متأنية ودراسة دقيقة لما قبل هذه الانتخابات أن أقول إنني لن أقبل بأيّ نتائج أو أرقام تتحدّث عن نسبة المشاركة أكثر من 15 بالمائة على أقصي تقدير إن لم تكن أقل من ذلك بحدود 2 و 3 بالمائة.

وعندي الأسباب لما ذكرت وهي كثيرة لا يتسع المجال لذكرها في مقالة أو مقالتين، ولذلك التمس في نقاط محددة منها:
أنّ تلك الانتخابات الضعيفة الاستحقاق السابع الذي يتطلّب ذهاب المواطن إلى صناديق الاقتراع وقد تتوّعت الاستحقاقات ما بين استفتاءة وانتخابات، والتي شعر المواطن بالإرهاق من كثرة الذهاب إلى صناديق الاقتراع دون أن يشعر المواطن بنتيجة مشاركته، و بجانب ذلك فإنّ قانون ونظام الانتخابات التي تمّ تفصيله لأول مرة في

## البناء

## روسيا وسورية بصوت عالٍ؛ كفى لعباً بمصائر البشرية

جديدة التحالف الذي شكّلته الولايات المتحدة والذي لا يمتلك شرعية سياسية ولا قانونية على الأقل على مستوى الدولة السورية...
بدليل توسع الرقعة الجغرافية لتنظيم «داعش» أمام ناظري قيادة هذا التحالف الذي «تسمع عن عدد غاراته ولا نصل إلى نتائجها»، كما عبّر وزير الخارجية السوري السيد مقرّبا شنّ هجوم دفاعي، مؤكّدا على ضرورة لجم الاندفاع الأميركية بعد اكتشاف استراتيجيتها في التطابق في النظرة والقراءة بين القيادتين الروسية والسورية.

تمّ أمام التطورات الراهنة التي وقعت في الجغرافيا السورية وأمام ما تمتلكه الإدارة الروسية من معلومات حول مخطط تدريب وإرسال دفعات من المقاتلين قالب مهية لبدء تحرّك يستهدف العاصمة دمشق، كانت العروبة النابض، ويده هجوم تحت غطاء ناري ضمن عناوين أخرى، وهذا ما يفسّر ما وقع في جسر الشغور وادلب تمهيدا لما كان مخططا اشتراكا محذرة تزامياً مع حرب تأمين محيط دمشق غرباً وجنوباً وشمالاً.

هكذا أقيمت الإدارة الروسية، التي انتهجت الحنكة نهجا والصبر الاستراتيجي الية في تعاطيها مع حقق ووحشية الغرب المتناطوس بحضارة وديمقراطية وشرف مزعوم، أن الوضع في المنطقة السورية والعراقية لم يعد يحتاج إلى نسق عادي من خلال مجزء الدعم اللوجستي. فالمستمررون لإرهاب «داعش» على حساب الخراطم هم أنفسهم المستهدفون لكل نقطة للمجال الاستراتيجي الروسي، وهم أنفسهم المتفردون بالإدارة السياسية في العالم، والعابون بالقوانين والمواثيق الدولية التي جعلت من مؤسسة الأمم المتحدة ومجلس الأمن مجزء أدوات لتحقيق أهداف هؤلاء.

لذلك يمكننا القول إنّ الدخول الروسي على خط المواجهة السورية حرب استباقية لسببين هما: غلق أيّ باب في وجه أيّ نيّة تطاول الدولة السورية، عاصمتها ومؤسّساتها السياسية والعسكرية ودرع التمذد الداعشي وبقية التنظيمات الإرهابية الأخرى التي تتضمّن مواطنين من روسيا أو من المتعتمين إلى بلدان ضمن مجال الاتحاد الروسي الذين إذا اكتسبوا خبرات قتالية وفائض عنف قد يشكّلون تهديدا جدّيا على الأمن القومي الاستراتيجي لروسيا.

### أفق الدخول الروسي

### على خط المواجهة

بعد أولى غاراتها على مواقع الإرهابيين في حمص وادلب وغيرها، إثر استجابتها لمطلب رسمي سوري بالتنسيق العسكري لمواجهة الإرهاب، بدأ نوع من الهستيريا الإعلامية (العربية خصوصا) وشوع من إبداء «مخاوف» من بعض السياسيين الإقليميين والدوليين من «خطورة الدخول الروسي» – بحسب زعمهم – والذي لم يقتصر على «داعش» بل على «المعارضة المعتدلة»، التي ينطق عليها عبارات الدورات، بعد ما أعلن هؤلاء عن «رضى مبدئي» لوجود شريك جدّي في محاربة «داعش... لكن سرعانا ما تبدّلت المواقف بشكل سريع ليصف الرئيس الأميركي العملية الروسية بالحماقة والسقوط في مستنقع سورية» نتيجة تمسّك روسيا بدعم الرئيس الأسد، علاوة على ما صرّح به كيري حول رفض «السة»، في المنطقة للتدخل الروسي.

طبعاً كان قد أجاب الرئيس فلاديمير بوتين على كلّ ذلك الصخب الإعلامي مصفّقاً كلّ التصريحات والإعساءات على كونها «حرباً إعلامية» مصراً على أنّ روسيا تستنكمل نهجها بحسب الخطة المرسومة، وهذا ما يجعلنا نقسم أفق هذا الدخول الروسي، بصفته مساراً جدّياً وحيداً مكنّاً لخروج المنطقة جراء جشع ووحشية الإدارات الصهيونية وشركاتها الاحتكارية.

هذان القائدان، تعيدان مع من تحالف معهما، صياغة المنقطة بعد أن انهكتها الأعيب المستخفين بمصير كوكبا، انه حراك دولي تقوده موسكو تأسس على الصمود السوري الأسطوري العجائزي في وجه المشروع الصهيون–أميركي الاستعماري يضع حدّاً للتلاعب بالمنطقة جراء جشع ووحشية الإدارات الصهيونية وشركاتها الاحتكارية.

إنّ ما يجمع بين روسيا الأرثوذكسية والصين بدنيها الشرعية وإيران الإسلامية وسورية القومية العلمانية، ليس مجزء «مصلح»، على أهميتها وجوبيتها وشرعية وجودها، بل هدف وحيد مشترك، انتهاء زمن اللعب بمصائر البشرية، وهذا لا يتحقّق إلا بدعم النهج المستقل للدول ودعم مؤسساتها الشرعية وفتح آفاق لاملل أمام الشعوب للتحكم المجتمعي والتقني بعد أن اغلقت السياسات الإمبريالية الأبواب أمام مفهوم الحياة. ومن هذا المنطلق يكون هدف روسيا وسورية المشترك عبر الأمم المتحدة ومجلس الأمن كأمستئين شرعيتين مرجعيتين لتفعيل القانون الدولي الذي عبث به العابون وتحقيق الأمن والسلام الدولي الذي قوضته السياسات الصهيونية منذ تفرّد الولايات المتحدة بتشكيل القرار الدولي خدمة لمصالح ضيقة.

هكذا قد تتغيّر العالم...

كاتب تونسي

السنة السابعة / الجمعة / 30 تشرين الأول 2015 / العدد 1920

Seventh year / Friday / 30 October 2015 / Issue No. 1920

## المعارضة السورية بين الوطنية والتبعية

- محمد أشرف البيومي**\*

يعاتبني بعض المصريين لما يشعرون بأنه اهتمام زائد بالشأن السوري، ويتقدّني بعض السوريين بما يعتبرونه تدخلًا في شؤون بلدهم. من الواضح أنّ الفئة الأولى لديها قصور شديد بأهمية مستقبل سورية على مصر والأمن القومي المشترك، أما الفئة الثانية فموقفها يفرّ الدمشة العارمة، فهم يقبلون تدخل عنان والإبراهيمي والجببر وكيري وأوباما وهولاند وكامبيرون وأردوغان، بل إنّ بعضهم ينادي، فور دخل، بالتدخل الأجنبي والحماية الدولية، والبعض الآخر يتعاون مع الكيان الصهيوني. أقول بالبلدي «اشمعي»؟

على أية حال فإنّ مساهمتي ليست تدخلًا بل مشاركة واجبة في شأن يخصّ مباشرة كل مصري وسوري وعربي ملتزم، إن كنتمّ لا تعلمون! وحتى على المستوى الفردي نجد أنّ حريقا في منزل مجاور يستدعي فوراً مساعدة الجيران، ليس فقط حماية لهم، بل لدرء الخطر عن النفس، فما بال الأمر عندما يكون متعلقاً بمصالح شعبه ومستقبل أمته!

وفي الوقت الذي تتعرّض فيه سورية لعدوان قوي الرجعية العربية والتكفيرية والصهيونية بقيادة الإمبريالية العالمية فمن الضروري الشديد والجهد العميق عدم التمكسك بمنهج الرؤية الشاملة الواعية بالأبعاد الجغرافية والتاريخية والتنموية والثقافية في إطار علاقات القوى العالمية.

### المعارضات السياسية وأنواعها

ليس غريباً أن تكون هناك ألوان وأنواع مختلفة بين معارضين للسلطة في أيّ مكان وأيّ زمان، والمعارضة السورية الحالية لا تتميز عن معارضات أخرى في هذا الأمر، وعليّنا أن نتذكّر على سبيل المثال ما حدث إبان الغزو الثلاثي على مصر عام 1956 عندما استعدت عناصر معادية لنظام عبد الناصر لتسلم الحكم، أما «الإخوان المسلمون» فلم يخفّ بعض عناصرهم فتحتم بقرب وصول المعتدّ الإنجني. وهل ننسى عندما أعلن الشيخ الشعراوي صلاته شكرًا له على هزيمة 1967. عندما تقول إنّ هذا التصرفات متوقعة من قبل عناصر لا تكترث بالوطن وكرهها العميق لقيادات الدولة تُؤدّي إلى آخرها، إلاّ أنّ هذا لا يمنعنا من الشغور بالشمزّزات العميق والاحتقار الشديد لأصحابها.

عندما نعطي أيّ معارضة صفة الوطنية أوغير الوطنية، لا بدّ أنّ أردنا الموضوعية أنّ نحدّد مقاييس واضحة ونابئة لما هو وطني أو غير وطني. إنّ أهمّ هذه المعايير إنه إذا واجه الوطن خطراً أهداهم كعدوان خارجي أو إرهاب مدمر، يتجنّب من المعارضين الوطنيين تحيئة كل الخلافات جانباً مؤقتاً حتي يزول الخطر، وعدم إعطاء أية فرصة للمعتدي أن يستغلّ أيا من هذه الخلافات لمصلحته، ولا يمكن اعتبار من يكسر أو يتخلّى عن هذا المبدأ الراسخ شعبياً عبر العصور معارضاً وطنياً.

### المعارضة التابعة

تعلمنا أنّ أوقات الشدّة سواء على المستوى الشخصي أو الوطني تفرّز ما هو أصيل وما هو زائف. فعندما بشرت قوى العدوان أنّ النظام السوري على وشك الانهيار سارعت شخصيات معارضة لإعلان مواقفها الانتهازية تحت رداء الحماس المخادع للديمقراطية، و«الحرية»، دون أن تحترأ بمصير الوطن أو الأهداف المدمرة التي سعی المعتدون إلى تحقيقها. رأينا البعض ينادي بالحماية الدولية والبعض الآخر يتضح ضباط وحدات الجيش الوطني للمتمرّد، أو الانشقاق إلى تبني البعض علماً استخدم أيام الانتداب الفرنسي بدلاً من علم الجمهورية المتحدة، وقابل البعض السوريين ليومي فور، رمز العدوان والتآمر، هل طلب الحماية من أطراف مارست العدوان والنهب والإحتلال على الأمة العربية مثل أميركا أو دول أوروبية عاتية في الاستعمار، حتى لو كانت مرتدية الثوب الدولي، وهيئة الأسم، هل يكون التدخل الأسي في العراق وليبيا ويوغوسلافيا، والتخريب الهائل الذي لحق بهذه الدول وشعبها.

ورغم تطوّر الأمور ووضوح طبيعة ما تتعرّض له سورية، ما زالت تلعب علينا عبر التلفزيون نماذج مختلفة من المعارضة السورية، فتمهم من يردد نفس مقولات ومصطلحات الأعداء مما يجعل من الصعوبة التمييز بين مواقفهم وبين مواقف العدو المترصّب. وهناك من يخفي منطلقاته العنصرية والمذهبية فيجسي خيابه منسماً بالبالهة والعمته. وهناك من يغيّر مواقفه فيفقد احترام الجميع لإنتهازيته الفجة، مشهد جنوني، مرّلي يشبه مسرحيات الامفلوق. عندما يقول أحدهم إنّ الحل السياسي لا بدّ أن يسبق الحل العسكري، فهل بإمكان أيّ تواجد في الواقع، فالأجدربه أن يقول صراحة «على السلطة أن تستسلم لإرهابيي النصره وأحرار الشام وجيش الفتح وداعش الخ...»

### تعويذة «بشار لازم يرحل»

لماذا يصنّ كيري وفورد وهولاند وأردوغان وغيرهم على رحيل الأسد؟ وكما عبّر مواطن مصري في مقفي شعبي «مال أهلكم»، ما شأن هؤلاء؟ هل هم مواطنون سوريون؟ فإنّ هذا الأمر تحديداً يخضع للسوريين وحدهم، أصبحت هذه العقولة بمثابة تعويذة للمعارضين الأميركيّة وتوليعها من العرب تردّد كل صباح ومساء قبل الأكل وبعده... «لا بد من رحيل الأسد...» «الأسد قاتل لشعبه...» «الأسد كذّابو لا بد من إزاحته...» مقولات تردّد من دون وعي أو منطق كأيّ إعلان لمنح أميركي! كيف إن رحيل الأسد سيجلب الرخاء والنعيم للشعب السوري؟ وهل أصبحت سعادة الشعب السوري شلّكم الشاغل فجأة إذ أن إحدى الأعيب في قوى الهيمنة التي اختزال شعب ودولة ومؤسّساتها وشرعيتها شخص تمّ تصويره كأنه صاحب كلّ المصائب، وبدلك لا بدّ من إزاحته، وهذا يتطلب بالضرورة حملة لتسويق واسعة، أعطى هذا الأسلوب طغاء اللأمر والديوان والإحتلال في أماكن عديدة مثل العراق وليبيا ورومانيا وبنوا وكوبا... لم تستعمل تعويذة الرحيل في حالات أخرى مثل حكم آل سعود والكيان الصهيوني والسفاح بينوشيه في تشيلي وساليزار في البرتغال وغيرهم الكثيرون من أتباع الإمبريالية. لن ينجح هذا الأسلوب في الحالة السورية لأسباب موضوعية أمّنها صمود الشعب وجيشه الوطني.

### الوجه المضئء والمشرّف للمعارضة الوطنية

هناك وجه آخر يستدعي الإسادة الكثيره به، أصحابه معارضون ملتزمون بوطنيتهم رغم اختلافاتهم القوية مع النظام. هذا العناصر تعطي نموذجاً رائعاً لمهامية المعارضة الوطنية، فالمدية الأساسي الذي يرقى إلى مستوى القانون هو: «عندما تقع الدولة ومؤسّساتها ومستقبلها تحت تهديد مباشر من أعدائها يصطف المعارضون الوطنيون وراء النظام وتوجّل الخلافات من دون تناسيها لحماية الوطن». أعرف أحد هؤلاء المعارضين السوريين الذي قال: «عارض النظام بشد وكنتي مستعدّ للتضحية بحياتي لحمايته»، إنّ مثل هذه الشخصيات هي التي تبذل حماية قوية للوطن كما أنّها تمثل عنصراً أساسياً للصمود، وبدك ذلك الانتصار، يسبقها هذا الموقف دعماً للجنبة السياسيةين حبسهم عبد الناصر عندما بكوا بحرقه عند علمهم بوقاته.

من المنطقي إذاً أن نجد على الساحة السورية مواقف واضحة ومعلنة من قبل معارضين سوريين يقفون مع النظام في مواجهة للإرهاب وأعداء الأمة كأولوية تلميها المخاطر المحدقة من دون تناسي أو الخلقني عن طموحاتهم من أجل بناء مجتمع سوري أكثر عدلا وحرية وبنوضه تشمل تقدماً علميا وتكنولوجيا. لا نستطيع بل توقع مواقف جماعية معلنة في هذا الوقت تحديدا لأصحاب هذا النهج، يسبقها ذلك الموقف دعماً للجنبة المناوئة للإرهاب والقوى المساندة له. إنّ إعلان هذا الموقف المساند للدولة في هذا التوقيت تحديدا، ستكون له أهمية بالغة لنعزل المعارضين الانتهازيين وإغلاق الباب على النهج الطائفي والمذهبي للحفاظ على سيادة الوطن واستقلاليته قراراته.

أستاذ الكيمياء الفيزيائية في جامعة الإسكندرية وجامعة ولاية ميشغان سابقاً